المحاضرة 7: تطبيق النظام الشيوعي في الاتحاد السوفييتي

أول محاولة لتجسيد حقيقي للأفكار الماركسية الشيوعية الثورية كان بعد قيام الثورة البلشفية في روسيا أكتوبر 1917. خلال نهاية الحرب العالمية الأولى بدأت الثورة في سان بترسبورغ(بدلت تسميتها إلى بتروغراد، ثم لينينغراد) وذلك حينما قامت مسيرت للعمل والفلاحين تطالب بالخبز. وقد استغل لينين الفرصة للالتحاق بالثورة ومحاولة تنظيمها، وقام ليون تروتسكي بتشكيل الجيش الأحمر لمواجهة الجيش الأبيض(أنصار النظام القديم). وبشكل سريع أدرك لينين بأن بلاده ليست مهيأة لاحتضان الثورة البروليتارية، وإقامة مجتمع من دون طبقات، لذلك سمح بتعايش قطاع للدولة مع قطاع خاص. ولم تصبح الشيوعية كمذهب رسمي لروسيا إلاّ في عهد ستالين. هذا التجسيد يقوم على مبدأ التخطيط المركزي، من خلال مخططات خماسية(5 سنوات)، والتي كانت تستهدف تحديث الزراعة وتكثيف التصنيع، مع القيام بتحويل ملكيات الأرض من خلال إزالة الملكية الفردية وإقامة ملكيات جماعية، على الصعيد السياسي فإن الحزب الشيوعي السوفييتي هو الذي يسيطر ويراقب كل مناحي الحياة ويقود تجسيد السياسة الشيوعية.

تعريف الاتحاد السوفيتي

اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية(بالروسية *Soïouz Sovetskikh Sotsialistitcheskikh Respoublik*)، تأسس بعد قيام الثورة الروسية 1917، وأعلن رسمياً سنة 1922، وتم حله سنة 1991، هو إتحاد فيدرالي من 15 جمهورية، كانت أكبر دول العالم مساحة بـ22 مليون كم2، تضم روسيا(17 كم2) وجمهوريات البلطيق وأخرى واقعة جنوب غرب روسيا وفي أسيا الوسطى(Russie, Lituanie, Lettonie, Estonie, Biélorussie, Ukraine, Moldavie, Géorgie, Arménie, Azerbaïdjan, Kazakhstan, Turkménistan, Ouzbékistan, Kirghizistan et Tadjikistan.). وظل الاتحاد السوفييتي طوال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية القوة الثانية في العالم بعد الولايات المتحدة وخصمها خلال الحرب الباردة.

روسيا السوفييتية في ظل لينين(1917-1924)

منذ 26 أكتوبر 1917، ستة أيام بعد قيام اللجنة المركزية للحزب البلشفي بتأكيد نداء لينين لأجل الاستيلاء على السلطة بثورة مسلحة، أقدمت روسيا على سياسة تقوم على تحقيق السلم(الخروج من الحرب الكبرى)، القيام بتغيير نظام الملكية للأراضي(الملكية الجماعية)، تأميم البنوك، جعل المصانع تحت إدارة العمال. تشكلت الحكومة من أمناء الشعب بالروسية(*Sovnarkom*)، وعلى رأسها لينين، تروتسكي وزير للخارجية، لينين وزير الداخلية(القوميات). سنة 1918 تم إعلان فصل الدين عن الدولة، أنشاء الجيش الأحمر، إعلان المساواة بين الرجال والنساء، الاستمرار في سياسة التأميمات. الدستور السوفييتي تمت المصادقة عليه في 10 جويلية 1918، وقد اعتمد على توصيات المؤتمر الثالث للسوفيتات(sovietsمجلس عموم روسا)، وتم التصويت على اعلان حقوق الشعب العامل والمستغل. بعدها بدأ البلاشفة بقيادة لينين بالاستيلاء على مقاليد الحكم. غير أنهم لاقوا مقاومة عنيفة من جهة خصومهم(المناشفة mencheviks ، أنصار نظام القياصرة السابق) وقد أدى ذلك إلى قيام الحرب الأهلية بين الجيشين الأحمر والأبيض المدعوم من قبل الدول الغربية.

لأجل التفرغ للمشاكل الداخلية والتجسيد العملي للماركسية، كان لابد من توقيع السلم خارجياً ، وإخراج روسيا من الحرب. ذلك أن الحرب كانت جد مكلفة بشرياً اقتصادياً، لذلك سعى السادة الجدد في روسيا للحصول على السلم بكل ثمن. ذلك أن الحصول على السلم خارجياً هو أول خطوة لتحقيق السلم داخلياً، توقيع انقلقة بريست ليتوفسك Brest-Litovsk أدى إلى خروج الاشتراكيين الديمقراطيين من الحكومة في مارس 1917، وتنظيم مقاومة عرفت بالرعب الأبيض. ردة فعل البلاشفة كانت عنيفة من خلال تنصيب الرعب الأحمر، والذي أفضى إلى زوال الحزب الاشتراكي الديمقراطي، واغيال

القيصر نيكولا الثاني وكل أفراد عائلته. وبمرور الوقت اختفت كل التيارات والأحزاب عدة الحزب البلشفي. وهكذا أصبح الاتحاد السوفييتي دولة الحزب الواحد. وتم القضاء على الثورة المضادة وكل أشكال المعارضة من خلال الشرطة السرية(Tcheka).

بعض جنرالات الجيش السابق المعادين لتوجهات البلاشفة أسسوا جيوش وأعلنوا التمرد في القوقاز وسيربيريا الغربية، البريطانيون الذين اعتبروا خطوة البلاشفة للسلم مع دول الوسط خيانة، قدموا دعمهم للجيش الأبيض، بينما قامت ألمانيا والنمسا باجتياح أوكرانيا(بطلب من المجلس الحكومي لهذه الأخيرة). بينما قام اليابان باحتلال فلاديفوستوك Vladivostok في الشرق الأقصى، وتشكلت العديد من الجيوش المحلية ا في كل أنحاء روسيا معارضة لسلطة موسكو الجديدة. وقد أدى ذلك إلى تشكيل الجيش الأحمر من 100 ألف متطوع من القرويين والعمال، والذي سرعان ما أصبح يضم 5 ملايين متطوع.

خلال صيف 1918 ونهاية 1920 عاشت البلاد وضع الحرب الأهلية، شيوعية الحرب كما عرفها تروتسكي تعمل على التصدي للثورة المضادة. المعارك المصيرية وقعت سنة 1919، في الربيع أعلن كولتشاك Koltchak الهجوم على موسكو، وصل إلى ضفة نهر الفولقا Volga ، حيث أوقف من قبل الجيش الأحمر، واضطر للتراجع، وتم ايقافه وإعدامه، في أفريل 1920 شن الجيش البولوني هجوماً، بدعم من بعض الفرق لروسيا البيضاء، ولكنها هي الأخرى منيت بالفشل. انسحاب البريطانيين والأمان، سمح للروس الاستيلاء على أزربيجان، أرمينيا، جورجيا وتركستان، وفي 1922 غادر اليابانيين فلاديفوستوك. وخرج الجيش الأحمر منتصراً من الحرب الأهلية. مما سمح للنظام الشيوعي لتعزيز سلطته.

الأزمة الاقتصادية الموروثة عن نظام القياصرة ازدادت حدة، وأدت أساليب التأميم والحرب إلى ازدياد الأحوال الاقتصادية سوءاً، هذه الأزمة الاقتصادية الاجتماعية، أدت إلى الثورات القروية في كل البلاد، والتي قمعت بشكل عنيف. لأجل مواجهة الوضعية لينين أعلن السياسة الاقتصادية الجديدة، في مارس 1921، والتي تحمل بعض القيم الرأسمالية، هذه السياسة سمحت بوجود مؤسسات صناعية صغيرة، الأمر الذي يسمح حسب لينين بتطوير الانتاج الفلاحي والصناعي. الأمر الذي أدى إلى الرفع من مستوى الدخل، وتجاوز مجاعة الفولقا. المؤتمر الثالث أقر جعل السلطة بيد المكتب السياسي، والمشكل من خمسة أعضاء: لينين، تروتسكي، ستالين، كامينافKamenev وكريتنسكيKrestinski . والذين تم اختيارهم من قبل اللجنة المركزية التي هي بدورها تم اختيارها من قبل مؤتمر السوفييت للحزب الشيوعي. وأصبح الحزب الشيوعي هو الوحيد القائم والماسك بكل زمام الحكم.

تشكيل الاتحاد السوفيتي

الحدث الآخر المهم في تلك الفترة هو ميلاد إتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية (URSS) في 30 ديسمبر 1922، وجمع روسيا، أوكرانيا، بلروسيا ومنطقة القوقاز. ستالين كان له مشروع للكونفدرالية، ودستور جديد والذي تم التصديق عليه في جانفي 1924، من حيث الشكل هذا الدستور يجعل الجمهوريات متساوية في الحقوق والسيادة. الحكومة المركزية تحتفظ بمراقبة الساسة الخارجية والدفاع والتخطيط الاقتصادي. الدستور يسمح للجمهوريات اعلان الاستقلال، ولكن أيضا إمكانية ضم جمهوريات اشتراكية جديدة، خلال ما بين 1924 و 1929 تم توسيع حدود الاتحاد السوفيتي، منطقة القوقاز تشكلت منها ثلاث جمهوريات: جورجيا، أرمينيا، أزربيجان. وتشكلت جمهورية كازاخستان في آسيا الوسطى، وتشكلت جمهورية تركمنستان وأزبكستان، وطاجاكستان، وقرقيزيا Kirghizie. بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، أصبح إتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية يضم 15 جمهورية(ضم جمهوريات البلطيق). العديد من الدول التي كانت معادية للنظام الجديد الذي

Lénine (à gauche) et Staline, en 1922.

أقامه البلاشفة عقد عدة اتفاقيات معه خلال فترة ما بين الحربين. وفي 1933 اعترفت الولايات المتحدة بالاتحاد السوفييتي الذي انضم لعصبة الأمم.

العهد الستاليني(1924-1953):

منذ وفاة لينين في 21 جانفي 1924 فتح مجال التسابق لخلافته، وذلك ما يبين عدم تجانس وتناسق الحزب الشيوعي السوفيتي، التسابق جعل كل من تروتسكي الذي كان يندد بيروقراطية النظام المركزية، وستالين الذي أصبح يتهم لينين بالإصلاحي والمعادي للبلشفية. منذ 1923 شكل ستالين الترويكا الأولى المعادية لتروتسكي بحيث ضم إلى جانبه كل من كمينيف Kamenev وزينوفييف Zinoviev (أعضا المكتب السياسي). هذه الإدارة الجماعية تبدو أكثر إقناعاً. غير أن تروتسكي تمكن من استمالة كل من كمينيف وزينوفييف، مما جعل ستالين يشكل ترويكا أخرى رفقة بوخارين Boukharine وريكيف Rykov وتومسكي Tomski . الحرب الايديولوجية اشتعلت بين الجانبين، لكن وضع ستالين كأمين عام للحزب جعله في موقع قوة، مما جعله يفرض رؤاه، والمتمثلة في بناء الاشتراكية في بلد واحد، بدل فكرة منح الأولوية للثورة الأممية التي كان تروتسكي يدعو لها. تروتسكي جرد من منصبه كقائد المجلس العسكري السامي(مؤسس الجيش الأحمر). وألف الجز الثالث من كتابه حول الثورة المستمرة، وذلك ما يتعارض مع جمود ستالين، في 1927 كان رفقة أتباعه ضحية للموجة المعادية للتروتسكية، وتم نفيه من الحزب الشيوعي في السنة الموالية. قبل أن ينفى من التراب السوفيتي في السنة الموالية. ليغتال سنة 1940 في مكسيكو من قبل أعوان ستالين. وبعد تخلص ستالين من أتباع تروتسكي التفت إلى أتباعه الذين كانوا معه في الترويكا واتهمهم بالانتهازية اليمينية. بفعل انتقادهم للنظام الاقتصادي السوفيتي. وقام ستالين بنفي الملايين من القولاق Goulag للعمل في سيبيريا. تمكن ستالين من السيطرة على مفاصل الدولة. وكانت الشرطة السرية تنشر العرب، بفعل تصفية كل من يشك في إخلاصه للنظام ولزعيمه. كما قام ستالين بفرض وصياته على الحركة الجمعوية، والثقافية والفكرية.

لم تأتسي سياسة تجميع إنشاء الملكيات الجماعية الفلاحية بثمارها، فالإنتاج الفلاحي ظل في مستوى دون مستواه سنة 1913، في 1928 تم اعلان المخطط الخماسي الأول، الذي كان هدفه تحويل البلاد الفلاحية المتخلفة إلى قوة صناعية كبيرة، ولتغيير عميق للمجتمع. وكان شعاره تصنيع مفرط وتوسيع لسياسة تأميم الأراضي. ومنحت الأولوية لتشييد مشاريع التهيئة القاعدية الكبرى، من خلال قاعدة تقوم على الصناعات الثقيلة. هذه التحولات تم تحقيقها بفعل تسخير يد عاملة كبيرة مشكلة من مئات الآلاف من الكولاك koulaks ، وباللجوء إلى متخصصين أجانب، في بداية 1933 أي عند نهاية المخطط تضاعف إنتاج الصناعات الثقيلة بـ273 في 100.

في القرى التأميم الإجباري أدى إلى العديد من معارضة من القرويين. الكولاك تم تسخيرهم بشكل لا رحمة فيه. الملايين تم نفيهم إلى سيبيريا حيث ماتوا جوعا وبرداً. في سنة 1932 تم تشكيل تعاونيات(كولخوزات kolkhozes) 210 000تعاونية، كانت تسيطر على 70 في 100 من الأراضي، و 300 4 سوفخوزة(أراضي فلاحية للدولة). هذه الإجراءات الاقتصادية حسب ستالين من شأنها حسب ستالين أن تقدم صورة إيجابية عن الاتحاد السوفيتي، من خلال الترويج للجنة الاشتراكية التي يجب تصديرها خارج الحدود. وقد أفتخر السوفييت بأنهم لم تمسهم الأزمة الاقتصادية التي عصفت بالعالم الرأسمالي سنة 1929 بفعل التخطيط الاقتصادي.

استغل النظام السوفيتي الحرب الأهلية وعداء الدول الغربية ليروج لنظرية المؤامرة، وذلك لأجل تبرير سياسة رعب منظم، لأجل إسكات كل ما يسميه النظام بعدو الشعب والشيوعية. في 1934 تم اغتيال كيروف Kirov منافس ستالين في لينينغراد وهو أمين للحزب الشيوعي. مثل ذلك بداية لسياسة تصفية واسعة النطاق لإطارات الحزب المشكوك في إخلاصهم لستالين، والمتهمين بالتبعية لتروتسكي. بداية من 1936 عمليات التصفية أصبحت تمس عناصر من اللجنة المركزية،

حيث تم قتل ثلثي اللجنة، إلى جانب قادة الجيش الأحمر (35000 ضابط من أصل أوقفوا 70000). خلال المحاكمات ما بين 1936–1938 العديد ممن ساعدوا ستالين للوصول للحكم ومن القادة السامون تم اتهامهم بالمؤامرة من ألمانيا النازية واليابان لأجل قلب النظام. وتم إعدام العديد منهم، ونفي العديد إلى سبيريا أو للخارج. الجيش الأحمر الذي فقد معظم قياداته أصبح بقبضة ستالين. هذه الاغتيالات بالجملة أثارت استياء في الأوساط الغربية، وجدل في الأحزاب اليسارية، ستالين كان يعمل من خلال الكومنتيرن على التأثير على دعاية الأحزاب الشيوعية في أوربا.

وسيلة أخرى لفرض القمع التي تم وضعها سنة 1919، مراكز العمل الإجباري، المسماة بالكولاك، goulags ، وتضم مجموعات من المعتقلين بموجب قانون الحق العام، والمعتقلين السياسيين، الذين يجب أن يتم إعادة إصلاحهم بفعل العمل مع إعادة تأهيل إيديولوجي. ستالين استغل الملايين من الكولاك لأجل تنفيذ مخططه الخماسي الثاني. ورغم إعلان جدانوف Jdanovوبيريا Beria سنة 1939 لتخفيف نظام الكولاك إلاّ أن أكثر من 6 ملايين شخص قضوا حتفهم في أعمال السخرة، قرابة الملونين تم إيقافهم دائما بقرارات تعسفية. هذه الإجراءات التي مست القوة النشيطة، فضلاً عن تفريغ الجيش الأحمر من إطاراته السامية يفسر الضعف الذي ظهر به الاتحاد السوفييتي في بداية الحرب.

السياسة الخارجية:

خلال سنوات الثلاثينيات، عنف ألمانيا النازية واليابان جعل الاتحاد السوفيتي في حالة تهديد. لذلك عمل على تعزيز مكانته الدبلوماسية على الصعيد الدولي. في 1931 قام اليابان بغزو منشوريا، مما يهدد بشكل مباشر مصالح الاتحاد السوفييتي. في البداية حاول السوفييت توطيد علاقات مع مختلف الأطراف في الصين، الكومنتين Guomindang بقيادة تشان كاي تشيك Tchang Kaï–chek، والشيوعيين بقيادة ماوتسي تونغ، وقد أقنع الشيوعيين بضرورة توحدهم مع الكومنتيون لأجل مواجهة الخطر الياباني. بداية من 1938 العديد من المعارك العنيفة و قعت بين السوفييت واليابانيين في سبيريا الشرقية ومنغوليا. لمواجهة الخطر النازي، الاتحاد السوفيتي بادر لعقد العديد من اتفاقيات السلم وعدم العدوان مع العديد من الدولة، مثل: فنلندة، ليتوانيا وإستونيا، وفي 1934 دخل عصبة الأمم، وفي 1935 تم توقيع الاتفاق السوفيتي الفرنسي(ستالين لافال) للتعاون المشترك، واتفاقية لعدم الاعتداء مع تشكوسلوفياكيا. ونشطت الدبلوماسية السوفيتية لدى الدول الغربية لأجل مواجهة الخطر النازي الفاشي. ودعم ستالين التيارات اليسارية ومن ذلك حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا واسبانيا. غير أن السوفييت لم يحققوا مكاسب حقيقية، بحيث فشل دعمهم للثوار الإسبان، كما فشلوا في منع هتلر من ابتلاع تشكوسلوفاكيا(1938).

الاتحاد السوفييتي خلال الحرب العالمية الثانية:

في سنة 1931 وفي سنة 1936 وقع الأمان واليابانيون على اتفاقيات عرفت بالحلف المعادي للشيوعية، وكان على ما يبدوا يقضي بالقضاء على الاتحاد السوفيتي، بتطويقه من الجهتين الشرقية والغربية. لذلك شعر الاتحاد السوفيتي بتهديد حقيقي من قبل قوى أكبر منه خصوصاً في الجانب التقني. ولأنه كان يدرك بأنه لم يتهيأ بعد لخوض غمار حرب طويلة الأمد، فقد دخل السوفييت في مفاوضات سرية مع الألمان، لأجل توقيع اتفاقية عدم الاعتداء، وذلك ما تم في موسكو في 23 أوت 1939 بين روبنتروف ومولوتوف وزراء خارجية البلدين. وقد تضمن ملحق سري يتضمن تقسيم بولونيا، وضم لتوانيا لألمانيا وباقي جمهوريات البلطيق(استونيا وليتونيا) إلى جانب فلندة للاتحاد السوفيتي.

في الفاتح من سبتمبر بدأت شرارة الحرب بالهجوم الأماني على بولونيا، في 17 من نفس الشهر قام الجيش الأحمر باختراق الحدود البولونية واحتلال الجزء المتفق عليه، مئات الآلاف من البولونيين أخذو ا للعمل في الكولاك. وقام السوفييت بضم جمهوريات البلطيق والدخول في حرب ضد فلندة. كما دخل السوفييت في حرب حدودية ضد رومانيا لأجل استعادة مناطق فقدت خلال الحرب العالمية الأولى(مولدافيا). ووقعوا على اتفاقية سلم مع اليابانيين، الذين توجهو ا لمواجهة

الولايات المتحدة في المحيط الهادي. غير أن تلك الوضعية لم تستمر، ففي 22 جوان 1941 أعلن هتلر حملة بربروسا لغزو الاتحاد السوفيتي، وهي أكبر حملة عرفها التاريخ. وانقلب نظام التحالفات من جديد، بخرق هتلر لاتفاقية عدم الاعتداء، أصبح السوفييت حلفاء للدول الغربية ، وأمام عجز القوات السوفييتية في صد الهجوم الأماني قررت بريطانيا والولايات المتحدة تقديم يد المساعدة للجيش الأحمر عبر إيران ونظام البيع بالإيجار (prêt–bail) وفر للسوفييت 12 مليار دولار من المعدات الحربية(طائرات ودبابات).

ظهر الجيش الأحمر(4 مليون جندي) في حالة تراجع مستمر أمام الفيرمارت Wehrmacht الألماني الذي اجتاح الاتحاد السوفييتي عبر عدة محاور(شمال نحو لينينغراد، وسط نحو موسكون جنوب نحو أوكرانيا وستالينغراد). لأجل تنظيم المقاومة، قام ستالين بنقل القاعدة الصناعية من روسيا الأوربية إلى شرق الأورال، في آسيا الوسطى، الوحدات الصناعية التي لم يتمكن من نقلها قام بتدميرها باسم سياسة الأرض المحروقة. أمام التوسع السريع للجيش الأماني في العمق الروسي وأمام المئات من الآلاف من أسرى الجيش الأحمر، ظهر بأن الحرب الخاطفة («guerre éclair *Blitzkrieg* »)، للأمان ستؤدي إلى نصر سريع على شاكلة الجبهة مع فرنسا. في العديد من المناطق التي أخضعها السوفييت بالقوة عناصر من السكان قدموا تعاونهم للأمان. تمكن الجيش الأحمر من إيقاف الأمان على أبواب لينينغراد المحاصرة من 1941 إلى 1944، وفي الطريق إلى موسكو(60 كم). غير أن أهم محاور الحرب والمعارك التي قررت مصير الحرب كانت معركة ستالينغراد في شتاء 1942–1943. فبعدها بدأ الهجوم المضاد للجيش الأحمر وزحفه على كامل أوربا الشرقية.

خرج الاتحاد السوفييتي من الحرب في وضع متناقض، فمن جهة بلد خربته وأنهكته الحرب ومن جهة بلد منتصر وقوة عظمى لها مناطق نفوذ في خارج الحدود. فقد فقد السوفييت قرابة 30 مليون شخص، وبشكل سريع تم بعث الاقتصاد وذلك بفضل تعويضات الحرب والملايين من اليد العاملة من بين الأسرى(الأمان والمتعاونين معهم من القوقاز والتاتار). على الصعيد النفسي خرج السوفييت مفتخرين بمعركة ستالينغراد وبتحريرهم لأوربا الشرقية ودخولهم لبرلين. على الصعيد الداخلي تحول ستالين الرجل الحديدي إلى دكتاتور حقيقي، بحيث لم يعد للجنة المركزية دور سوى دعم سياسته. على الصعيد العالمي أصبح الاتحاد السوفييتي قوة عالمية لها مكانتها بين القوى العظمى، بحيث شارك ستالين في مختلف المؤتمرات التي قررت مصير علام ما بعد الحرب العالمية، مثل مؤتمر يالطة(Yalta في الأراضي السوفييتية، مؤتمر طهران في منطقة خاضعة للنفوذ السوفييتي، وبوتزدام Potsdam في ألمانيا المحتلة)، وساهم في إرساء نظام الأمم المتحدة. وتمكن السوفييت من تنصيب حكومات موالية لهم في المناطق التي يتواجد فيها الجيش الأحمر بما في ذلك ألمانيا الشرقية. بداية من 1947 بدأت معالم الحرب الباردة من خلال ما أسماه تشرشل بالجدار الحديد.

بعد الحرب أصبح ستالين يتمتع بمكانة وهيبة كبيرة، سواء في الاتحاد السوفيتي أو في الخارج، وهو رمز للانتصار على النازية. غير أن البلاد المترامية الأطراف كانت ضعيفة زراعياً وصناعياً وتكنولوجياً مقارنة بالدول الغربية. هذه الوضعية لم تكن مريحة بالنسبة للساسة السوفييت. الصراع الذي نشب بين السوفييت والمعسكر الغربي وعلى رأسه الولايات المتحدة. الاتحاد السوفييتي لم يكتفي بمكاسبه في أوربا الشرقية بل أخذ يطالب بالنفوذ في إيران وتركيا، مما جعل الولايات المتحدة تدعم الحكومة التركية ضد التهديد.

لأجل دعم الأحزاب والحركات الشيوعية في العالم أعلن جدانوف تشكيل الكومنفورم، ذلك ما اعتبر من قبل الدول الغربية بمثابة اعلان حرب، خصوصاً بالنظر لقوة المجموعات الشيوعية المسلحة في اليونان، والحضور القوي للأحزاب الشيوعيةي في كل من فرنسا وإيطاليا. تزامن ذلك مع سياسة المحاصرة التي أعلنتها إدارة ترومانcontainment ، والتي تعمل على حسب المعسكر

الشيوعي في مناطق تواجده من خلال محاصرته من كل جهة من خلال مساعدة الدول التي تشعر بالتهديد الشيوعي ة التي أضعفتها الحرب، توجهت المساعدات الأولى إلى اليونان وتركيا المهددتين بشكل مباشر، ثم توسعت في إطار مشروع مارشال لكامل أوربا الغربية واليابان. بداية من 1948 تحول التوتر الدولي إلى حرب باردة. في ما بين 1948-1949 بفعل حصار برلين، المجابهة أصبحت مكشوفة.

في جانفي 1949 برزت نوايا الهيمنة السوفييتية من خلال إنشاء منظمة الكوميكون(مجلس المساعدة الاقتصادية للتعاون)، هدفه تشجيع التبادل الاقتصادي بين الديمقراطيات الشعبية ومواجهة مشروع مارشال وتحقيق الاندماج الاقتصادي بين الدول الأعضاء، تحت الوصايا السوفييتية(الأخ الأكبر). في أفريل 1949 بعد نجاح تفجير القنبلة النووية السوفييتية، تجمعت الدول الغربية في إطار الحلف الأطلسي، تحت المضلة الأمريكية. حروب فرعية مرتبطة بالحرب الباردة وقعت في العديد من مناطق العالم،منها الثورة الصينية بقيادة ماوتسي تونغ Mao Zedong والتي انتهت بسيطرة الشيوعيين على الحكم في أكتوبر 1949، تبعتها حرب كوريا، والفيتنام(الهند الصينية).

العلاقات الصينية السوفيتية

بانتصار الشيوعيين في الصين ظهر الاتحاد السوفييتي أكثر حذراً في الشرق الأقصى، في ظل وجود منافس كبير وهو الصين. ومع ذلك قدم السوفييت المساعدة التقنية للصين، كما دعموها دبلوماسياً من خلال سحب اعترافهم بالصين الوطنية(طايوان) التي احتفظت بمقعد الصين في مجلس الأمن للأمم المتحدة. في 1953 قام بولغانين Boulganine موكيان Mikoyan وخروتشوف Khrouchtchev بزيارة لبكين فتحت مجال التعاون بين العملاقين الشيوعيين.

الاقتصاد السوفيتي في سنة 1950 لم يستعد عافيته بعد. التخلف كان واضحاً خصوصاً في الجانب الصناعي، تعزز خصوصاً بفعل العزلة التي يعيشها. على الصعيد السياسي أدى الاستقرار السياسي إلى تقوية سلطة ستالين أكثر، الدعاية القوية أدت إلى عبادة الشخصيةculte de la personnalité ، ستالين أصبح بمثابة "نصف إله".

ببعد وفاة ستالين في سنة 1953 بدأ التصدرع بفعل الفراغ الذي خلفه الزعيم. إدارة جماعية تشكلت من ماليكنكوف Malenkov أمين عام للحزب الشيوعي، مولوتوف Molotov وزير للخارجية، بريا Beria وزير الداخلية، فورونوفيش Vorochilov رئيس مجلس السوفييت الأعلى، وكقانوفيتش Kaganovitch، نائب الوزير الأول. في سبتمبر خروتشوف خلف مالينكوف على رأس أمانة الحزب الشيوعي. التسابق على خلافة ستالين بدأ بين المسيرين الجدد، بيريا الرجل القوي بدأ سياسة تحررية، من خلال تحرير نصف الكولاك، وجعل صحيفة البرافدا(الحقيقة *Pravda* وهي لسان حال الحزب والنظام) تميط اللثام عن الكثير مما كان يعتبر مؤامرات في زمن ستالين. مثل مؤامرة أصحاب المآزر البيضاء، وتعرضت للتعذيب الذي مورس ضد الأطباء المتهمين بشكل جائر. غير أن بيريا تم إبعاده من قبل خروتشوف بتهمة النشاط الإجرامي المعادي للحزب . وتم الحكم عليه بالإعدام. العديد من أصدقاء بيريا الآخرين تم إعدامهم.

خلال المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي في فيفري 1956، ألقى خروتشوف خطاب مثل نهاية الستالينيةdéstalinisation، بحيث لأول مرة ندد بعبادة الشخصية، واتهم ستالين بإيقاف واعتقال جماعي للملايين من الأشخاص، والإعدام من دون محاكمة، ومن دون تحقيق نزيه للعديد من الأبرياء. واتهم ستالين بأنه لم يحضر الدفاع بشكل جيد ضد الغزو الألماني، وبأنه مسؤول عن موت الملايين من الجنود، وبأنه تسبب في القطيعة مع تيتو(يوغسلافيا)، بإنكاره تعدد طرق تطبيق الاشتراكية.

هذا الخطاب فتح أمال لدى دول أوربا الشرقية للتحرر من الهيمنة السوفييتية، غير وقات حلف وارسو(فرسوفيا تأسس سنة 1955) قامت بقمع كل الحركات التي سعت للابتعاد عن الفلك السوفيتي في كل من بوزنان ببولونيا

وبودابيست(المجر). استقالة بولقانين من رئاسة الحكومة جعل خروتشوف يجمع بين أمانة الحزب ورئاسة الحكومة، في 1959 قام بزيارة لواشنطن حيث التقى إيزنهاور، ومثل ذلك بوادر الانفراج في العلاقات الدولية(التعايش السلمي). خلال المؤتمر 21، استمر خروتشوف في إزاحة الستالينية، من خلال إبعاد العناصر التي كانت لا تزال وفية لستالين، ونقل جثمان ستالين من الضريح الذي وضع فيه لينين (كان مزار للملايين). في بداية الستينيات وقعت أزمة الصواريخ الكوبية، التي أدت إلى إبعاد خروتشوف بتهمة بالتساهل(1964).

بعد وفاة ستالين حاول الاتحاد السوفييتي تدارك تأخره الاقتصادي، التعاونيات منحت لها استقلالية في التسيير، ولم يسمح ذلك بالحصول على نتائج ايجابية، وأصبح الاتحاد السوفييتي يستورد القمح من الولايات المتحدة ومن كندا. في الجانب الصناعي، الإنتاج الصناعي سنة 1957 تضاعف بـ 33 مرة عما كان عليه سنة 1913، رغم اعتبار الاتحاد السوفيتي القوة الصناعية والعسكرية الثانية بعد الولايات المتحدة إلاّ أن التركيز كان يتوجه نحو الصناعات الثقيلة والحربية على حساب الصناعات المنتجة للمنتجات الاستهلاكية، لذلك فإن التقدم الصناعي لم ينعكس بشكل إيجابي على المستوى المعيشي للفرد السوفيتي.

في بداية الخمسينيات سمحت الحكومة السوفيتية للجمهوريات بتطوير ثقافتها المحلية، مع العمل على تحقيق شيوعية متحدة. وتم نشر التعليم باللغة الروسية وباللغات الملحية، مما أدى إلى اختفاء الأمية، الأمر الذي سمح بنشر الإيديولوجية الشيوعية والتقنيات الصناعية. على الصعيد العلمي حقق الاتحاد السوفييتي تقدم وحتى تفوق في العديد من المجالات الفيزيائية والكيميائية وفي مجال الطاقة النووية، وغزو الفضاء الذي تم منحه الأولوية باعتباره يمثل أحد مجالات استعراض القوة بين العملاقين(الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي). وكان للروس الأسبقية في إرسال أول الأقمار الصناعية(1957) وفي إرسال رجل إلى الفضاء الخارجي(1961). ومثل ذلك للعالم الخارجي مظهر لتفوق النموذج السوفيتي، وقد استغلت تكنولوجيا غزو الفضاء في مجال التسابق نحو التسلح النووي، وتطوير الصواريخ البالسطية العابرة للقارات.

السياسة الخارجية من 1950 إلى 1985

سارت السياسة الخارجية السوفيتية بعد الحرب العالمية الثانية على عدة محاور، العمل الدبلوماسي البحت، روابط الحزب الشيوعي السوفيتي مع باقي الأحزاب الشيوعية في باقي الدول،علاقة الاتحاد السوفيتي مع الدول التابعة(المشكلة للمعسكر الشيوعي). ثلاث مساءل كانت تحرك السياسة الخارجية، الحرب الباردة والعلاقة مع الكتلة الغربية، العلاقات مع الصين والتوسع نحو العالم الثالث.

العلاقات مع آسيا وإفريقيا:

منذ إعلان حكومة ماوتسي تونغ اعترف بها الاتحاد السوفيتي. في 1950 تم توقيع اتفاق بأن يقدم الاتحاد السوفيتي قروض للصين، البلدين قدما دعمهما لكوريا، لكن خلال سنوات الستينيات العلاقات بين البلدين بدأت في التدهور، و بفعل الخلاف الإيديولوجي في تأويل الماركسية، وبشكل خاص الثورة في الدول النامية. في 1959 رفض السوفييت دعم البرنامج النووي الصيني، ذلك ما يبين تنافس بين البلدين، وظهر الخلاف على أراضي منشوريا، هدد السلم بين البلدين. بعد القطيعة الإيديولوجية لسنة 1963 وقعت مناوشات بين جيش البلدين في سنة 1969. زيارة نيكسون لبكين سنة 1972 أثارت مخاوف السوفييت، الذين كانوا يتخوفون إعادة توازن القوى لمصلحة الجارة الصين. ورغم جهود السوفييت لتطوير علاقاتهم بالصين اثر

وفاة ماوتسي تونغ سنة 1976، إلاّ أن الخلافات استمرت، الصين كانت تدعم الديمقراطيات الشعبية لتحصل على استقلالية أكثر، توجهت نحو الغرب للحصول على المساعدة الاقتصادية.

منذ 1950 دعم السوفييت الشيوعي هوشي مينه de Hồ Chí Minh في الفيتنام. وقدموا له المساعدة في مقاومة الفرنسيين ثم الأمريكان. خلال الحرب بين باكستان والهند حول إقليم كشمير ساند السوفييت الهند، بالمقابل ساند الصينيين والأمريكان باكستان. ولم يتم تطبيع العلاقات مع اليابان بفعل رفض الاتحاد السوفييتي التخلي عن جزر كوريل Kouriles التي استولى عليها خلال الحرب العالمية الثانية. غير أن أهم الحلقات السوفييتية في سياسته في آسيا تمثلت في تدخله في أفغانستان في ديسمبر 1979، وذلك لأجل تنصيب حكومة موالية لهم، أرسل برجنيف قوات مسلحة استولت على القصر الرئاسي في كابل. ورغم الاستنكار الدولي إلاّ أن النظام السوفيتي أبقى قواته في أفغانستان لمدة عشر سنوات.

أمّا بالنسبة لإفريقيا فإن السوفييت تأخروا في محاولة وضع أرجلهم على القارة السمراء، وقد دعم السوفييت منذ مؤتمر باندونغ الحركات التحررية لأجل إضعاف المعسكر الرأسمالي، ولغرس إيديولوجيتهونفوذه في إفريقيا التي توجهت معظم دولها لحركة عدم الانحياز. ظهرت المطامع السوفيتية في بعض الدول مثل دعمهم لباتريس لومومبا Patrice Lumumba في الكونغو، ونكروما Kwame Nkrumah في غانا، غير أن كلا تجربة دعم الحكومتين الشيوعيتين في البلدين لم تنجح. وخلال أزمة السويس سنة 1956 وقف الروس –من خلال تهديد بولغانين بضرب العواصم باريس ولندن بالصواريخ البالستية– موقف الداعم لحكومة جمال عبد الناصر، وقد قدم السوفييت مساعدتهم للحكومة المصرية لأجل بناء السد العالي، كما كانوا يزودونها بالأسلحة ويقفون وفي سنة 1957 قطعوا علاقاتهم مع إسرائيل، وكانوا يقفون الدول العربية خلال حروبها ضد إسرائيل المدعومة أمريكياً. خلال السبعينات قامت قوات كوبية حليفة لروسيا بالتدخل في أنغولا والموزنبيق والزمبابوي، كما دعمت المجموعات المسلحة في جنوب إفريقيا، هذه السياسة أثارت انشغال الولايات المتحدة التي لم تكن مهتمة بالقارة الإفريقية.

العلاقات مع المعسكر الغربي (الولايات المتحدة):

مجمل السياسة الخارجية السوفييتية بعد 1945 تحكمت فيها الحرب الباردة مع الولايات المتحدة ودول حلف الناطورOTAN ، وقد خيمت الوضعية على العلاقات الدولية بشكل عام.

بعد أزمة كوريا خلال بداية الخمسينات وبعد وفاة ستالين، بدا بأن العلاقات بين الشرق والغرب تتجه نحو ما عرف بالتعايش السلمي، غير أن ذلك لم يمنع من وقوع أزمات حادة في العلاقات الدولية، منها بناء جدار برلين في 1961، وأزمة الصواريخ الكوبية سنة 1962. فقد كان للاتحاد السوفييت علاقات قوية مع نظام الثورة الكوبية لفيدال كاسترو، ومن ذلك تقديمه له وعد بالمساعدة في حالة اعتداء من جهة الولايات المتحدة. انغراس نظام شيوعي على الجزيرة الكوبية لم يكن يريح الأم ريكان، لذلك نظموا عملية خليج الخنازير، من خلال تسليح معارضين كوبيين وتوجيههم لأجل إسقاط نظام كاسترو. في الوقت الذي استاءت فيه العلاقات الروسية الأمريكية بعل إسقاط الدفاعات السوفيتية لطائرة تجسس أمريكية وأسر طاقمها، الذي اعترف بمهمته التجسسية. اكتشفت طائرة تجسس أمريكية نقل السوفييت لصواريخ بالستية والبداية في تنصيب منصاتها على الأراضي الكوبية. كان العالم على شفى حرب نووية لو لا أن الرئيس خروتشوف قبل بطلب كيندي بسحب الصواريخ مقابل وعد الولايات المتحدة باحترام سيادة كوبا. وبعدها استمر تعاون النظام الكاسترو مع النظام السوفيتي.

من المساءل التي اثيرت في العلاقات بين العملاقين خلال فترة التعايش السلمي، مسألة التسابق في التسلح النووي ومحاولات الحد منه(نزع السلاح). في سنة 1954 وفي سنة 1959 اقترح الاتحاد السوفيتي نزع السلاح الكامل. في 1960 اقترح السوفييت تقليص القوة النووية إلى حوالي الثلث، مقابل أن تقوم الدول الغربية بالمثل، غير أن هذه الأخيرة لم

تستجب ما لم يقبل السوفييت بالمراقبة الغربية. في 1963 العام الذي نصب فيه خط الهاتف الأحمر بين البيت الأبيض والكريملين، تم الاتفاق على وقف التجارب النووية على سطح الأرض. إلى جانب تحييد الفضاء الخارجي. وتوصلت اتفاقيات صالت(« Salt » 1976، 1979 إلى تقليص عدد الصواريخ العابرة للقارات للبلدين. لم يمنع التقارب من وقوع عمليات تراجع إلى الوراء في العديد من المناسبات، منها غزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان، الذي كان من نتائجه وقف تصدير الولايات المتحدة للقمح لروسا، وعدم مشاركتها في الألعاب الأولمبية لسنة 1981 التي نظمت في موسكو.

فترة ميخاييل غورباتشوف نهاية الحرب الباردة

مثل وصول غورباتشوفMikhaïl Gorbatchev لسدة الحكم بداية عهد جديد، فقد كان أصغر رئيس في تاريخ الاتحاد السوفييتي(54 سنة) وبدا أنه يحمل أمل في بعث نظام جديد للاتحاد السوفيتي. كان غورباتشوف واقعياً، واتخذ إجراءات جريئة، عرفت بإصلاحات البرسترقكا(الانبعاث *perestroïka*) والغلاسنوست(*glasnost* الشفافية) فيما يخص الجوانب السياسة والثقافية. خلال الاجتماع 39 للحزب الشيوعي السوفيتي في جوان 1988 اقترح جملة من الإصلاحات الدستورية. التي تتضمن تحويل سلطة الحزب إلى ممثلين منتخبين من قبل الشعب. وقلص دور الحزب في تسيير الاقتصاد المحلي وقام بتوسيع صلاحيات الرئيس. وقام بـإجراءات تتمثل في التعددية الحزبية، حرية الصحافة، السماح بالملكية الفردية. لاقت هذه السياسة مقاومة قوية من قبل الأوساط المحافظة. لأول مرة منذ 1917 في 1989 يشارك الناخبون السوفييت في اختيار مجلس السوفييت، هذا الأخير اختار المجلس السوفيتي السامي، واختيار غورباتشوف رئيس للبلاد لعهدة 5 سنوات. قام غورباتشوف بتحويل سلطة الحزب إلى الجمعية التشريعية المنتخبة في جمهوريات الاتحاد. رغم الصعوبات التي لاقاها داخليا إلا أن شعبية غورباتشوف تنامت شعبية دولياً، ليحصل سنة 1990 على جائزة نوبل(نهاية الحرب الباردة). بدأ غورباتشوف في إنهاء المشكلة الأفغانية. غورباتشوف وجورج بوش(الأب) وقعا اتفاقية ستارت START الأولى والثانية لنزع التسلح النووي.

Démission de Mikhaïl Gorbatchev

تفكك إتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية والمعسكر الشيوعي(الشرقي)

بدأت رياح البرسترويكا(التغيير) تهب على الجمهوريات السوفييتية ودول المعسكر الشرقي، التي شعرت بخفة القبضة الموسكوفية عليها، بحيث ظهرت العديد من الحركات الديمقراطية في دول أوربا الشرقية، بينما قام الشباب الألماني بتحطيم جدار برلين، الأمر الذي مهد لتوحد الأ لمانيتين الشرقية والغربية. تبع ذلت حل حلف فرسوفيا ومنظمة الكوميكون سنة 1991. في آخر سنوات حياته عاش الاتحاد السوفيتي أزمة اقتصادية حادة، تبع ذلك إعلان العديد من الجمهوريات السوفيتية الاستقلال(بداية ليتوانيا)، قدم غورباتشوف استقالته من على رأس دولة الاتحاد السوفيتي المتفككة في 25 ديسمبر 1991. في اليوم الموالي أعلن البرلمان السوفيتي نهاية الاتحاد السوفيتي الذي عاش لمدة 75 سنة.

تراكمت جملة من العوامل وراء تفكك الاتحاد السوفييتي منها السياسة الديمقراطية والمتحررة المنتهجة من قبل غورباتشوف، والتي كشفت عن عورات الوضع في الاتحاد. الصعيد الداخلي الأزمة الاقتصادية لا تستجيب للحاجيات الأساسية للسكان، خارجياً تكاليف الإبقاء على مناطق النفوذ كانت في تزايد، والمطالب الوطنية في تصاعد. أسباب الفشل متعددة، مثل التناقض بين المثل النظرية والواقع التطبيقي لنظريات الماركسية، وتناقض تلك النظريات مع الطبيعة البشرية، فضلاً عن طريقة تطبيق الشيوعية من خلال فرض نظام شمولي، وتسلط الدولة على حياة الأفراد، فبدل

Gorbatchev et Reagan

تحقيق الحرية التي كان ماركس ينشدها، وقع الأفراد تحت سيطرة نظام شمولي يقوم على الاستبداد وذوبان شخصية الفرد داخل النظام الذي يقرره الحزب الحاكم. ففكرة ديكتاتورية البروليتاريا تحولت إلى ديكتاتورية الحزب. مسار الإصلاح والديمقراطية الذي دخل فيه غورباتشوف في نهاية الثمانينيات من القرن الماضي، قاد إلى انحلال الاتحاد السوفييتي(15 جمهورية) وانهيار معسكره الشيوعي. الصين الشعبية بدورها مستها موجة الديمقراطية، والتي مست خصوصاً الجوانب الاقتصادية من خلال التحول التدريجي للاقتصاد الحر. باستثناء الصين التي لا تزال يحكمها رسميا الحزب الشيوعي الصيني، وبعض دول العالم الثالث، مثل كوبا وكوريا الشمالية والفيتنام، فإن أنظمة الحزب الواحد وهو الشيوعي قد زالت في العالم.

الأسئلة

1 –ما الفرق بين الاشتراكية النظرية والثورية
2 –ما هي عوامل ظهور الفكر الاشتراكي الماركسي
3 –ما هي صعوبات تجسيد النظرية الماركسية على أرض الواقع من خلال التجربة الروسية
4 –ما هي الصعوبات التي رافقت عمل السوفييت.
5 –تميز النظام البلشفي منذ تأسيسه إلى غاية 1956 بالبطش والقتل من دون محاكمة، اشرح ذلك.
6 –ما هي مظاهر الطابع الشمولي للنظام السوفيتي؟
7 –رغم الجهود الإصلاحية للساسة السوفييت المتعاقبين على السلطة، إلاّ أن حالة الاتحاد لم تتطور بشكل كبير، خصوصاً فيما يخص الرفع من المستوى المعيشي للسكان، أشرح ذلك.
8 –أرهق سباق التسلح والتدخلات الخارجية لدعم الدول ذات التوجهات الشيوعية الميزانية السوفييتية، اشرح ذلك.
9 –لم يكن في نية غورباتشوف عند وصوله للحكم الوصول إلى تفكيك الاتحاد والمنظومة الشيوعية، وإنما أراد القيام بإصلاحات ديمقراطية. غير أن الأحداث تجاوزته، ولم يتمكن من غلق الباب الذي قام بفتحه، وضح ذلك